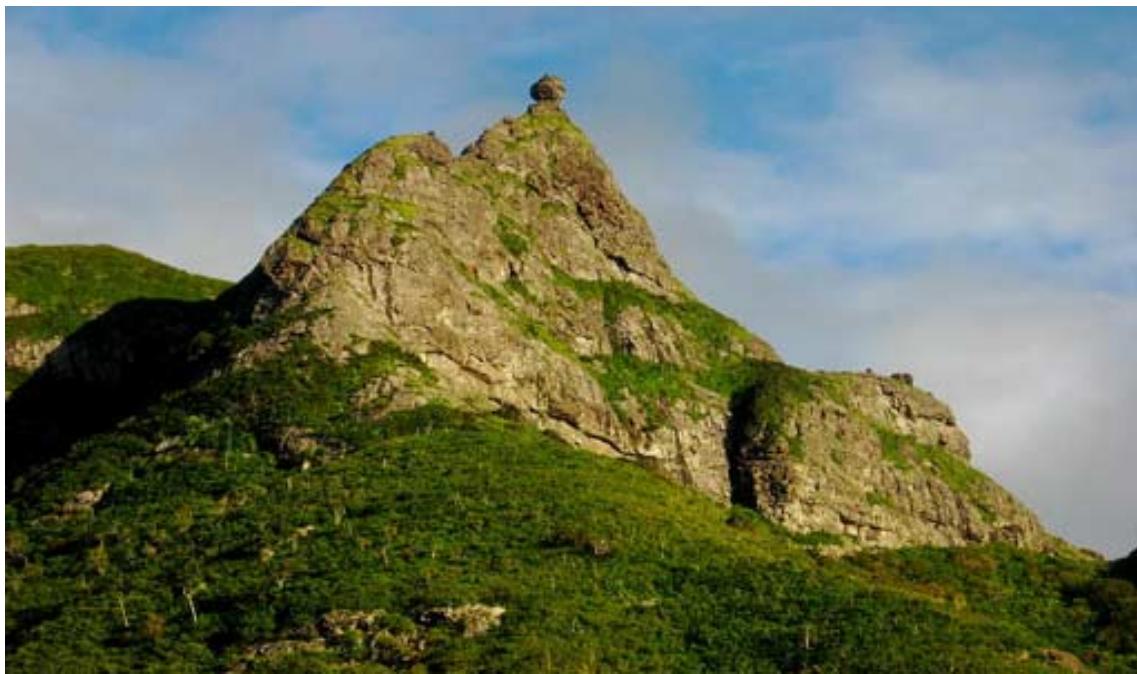


قانون صدى الحياة



يحكى أن أحد الحكماء خرج مع ابنه خارج المدينة ليُعرفه على التضاريس من حوله في جو نقى.. بعيداً عن صخب المدينة وهمومها .. سلك الاثنان وادياً عميقاً تحيط به جبال شاهقة .. وأثناء سيرهما .. تتعثر الطفل في مشيته .. سقط على ركبتيه .. صرخ الطفل على أثرها بصوت مرتفع تعبيراً عن ألمه: "آآآآآه". فإذا به يسمع من أقصى الوادي من يشاطره الألم بصوت مماثل: "آآآآآه" ..

نسى الطفل الألم وسارع في دهشة سائلاً مصدر الصوت: "ومن أنت؟".

فإذا بالجواب يرد عليه سؤاله: "ومن أنت؟".

انزعج الطفل من هذا التحدي بالسؤال فرد عليه مؤكداً: "... بل أنا أسألك من أنت؟".

ومرة أخرى لا يكون الرد إلا بنفس الجفاء والحدة: "بل أنا أسألك من أنت؟".

فقد الطفل صوابه بعد أن استثارته المواجهة في الخطاب.. فصاح غاضباً: "أنت جبان".

فهل كان الجزاء إلا من جنس العمل.. وبنفس القوة يحيى الرد: "أنت جبان" ..

أدرك الصغير عندها أزمه بحاجة لأن يتعلم فصلاً جديداً في الحياة من أبيه الحكيم الذي وقف بجانبه بدون أن يتدخل في المشهد الذي كان من إخراج ابنه.

قبل أن يتمادى في تقاذف الشتائم تمالك الابن أعماقه وترك المجال لأبيه لإدراك الموقف حتى يتفرغ هو لفهم هذا الدرس، تعامل الأب كعادته بحكمة مع الحدث.. وطلب من ولده أن ينتبه للجواب هذه المرة وصاح في الوادي: "إني أحترمك" ..

كان الجواب من جنس العمل أيضاً .. فجاء بنفس نفحة الوضار: "إنني أحترمك".

عجب الابن من تغير لغة المجيب.. ولكن الأب أكمل المصالحة قائلاً: "كم أنت رائع".

فلم يقلَّ الرد عن تلك العبارة الراقية: "كم أنت رائع".

ذهل الطفل مما سمع، ولكن لم يفهم سر التحول في الجواب، ولذا صمت بعمق لينتظر تفسيراً من أبيه لهذه التجربة الفيزيائية.. علق الحكيم على هذه الواقعية بهذه الحكمة:

"أي بني نحن نسمى هذه الظاهرة الطبيعية في عالم الفيزياء (الصدق).. لكنها في الواقع هي الحياة بعينها.. إنَّ الحياة لا تعطيك إلا بمقدار ما تعطيها.. ولا تحرملك إلا بمقدار ما تحرك نفسك منها.. فالحياة هي مرآة لأعمالك ومدى لأقوالك" ..

المصدر: كتاب هل فات الأوان لتبدأ من جديد/ حدد مسارك